العالم

عبد الله بن العباس

رضي الله عنهما

من رحم الألم.. يولد الأمل !

وسط الحصار القرشي الرهيب للمسلمين في شعب بني هاشم في السنة العاشرة من البعثة.. ووسط الآلام وأحزان المسلمين التي لا يعرف أحد متى تنتهي..

كان العباس عم النبي ﷺ على موعد مع فرحة بميلاد ابنه عبد الله..

وبمجرد ولادته يذهب العباس به إلى الرسول ﷺ فرحا مسرورا، فيبتسم له النبي ﷺ ويبارك له ويقبله في حنان، ويمسح على رأسه بيده الطاهرة، ويهدي له ولأبيه هدية رفعت من شأنهما على مر التاريخ.

لم تكن الهدية مالا ولا وعدا بمال..

ولا منصبا ولا وعدا بمنصب..

كانت الهدية دعاء مخلصا من رسول الله ﷺ للوليد الصغير:

«اللهم املأ جوفه فهما وعلما، واجعله من عبادك الصالحين».

ثم نظر إلى العباس قائلا له:

«يا عم، هذا عن قليل حبر أمتي وفقيهها، والمؤدي لتأويل التنزيل».

لقد كان عبد الله بن العباس صاحب بشرى للمسلمين في وسط حصار استمر ثلاث سنوات كانت تبغي منه قريش القضاء نهائيا على المسلمين.

ويفارق الرسول ﷺ الولد الصغير بعد ثلاث سنوات مهاجرا إلى المدينة..

ألا إنه وبعد ثماني سنوات، وبينما الرسول ﷺ يسير بجيشه نحو مكة لفتحها، يشاء القدر أن يعزم العباس على الهجرة إلى المدينة، ليلتقي العباس بالجيش قبل أن يدخل مكة ويصبح العباس وابنه آخر مهاجرين إلى المدينة..

إذن لقد حملت هجرة العباس وابنه ذوالأحد عشر ربيعا بشرى أخرى.. وهي فتح مكة.

وفي المدينة.. كان عبد الله يلازم النبي ﷺ ملازمة شديدة، بحكم قرابته منه ومن ميمونة زوجة الرسول ﷺ وخالة عبد الله.

وفي أحد الأيام.. كان عبد الله في بيت الرسول ﷺ مع زوجته ميمونة، وأراد الرسول ﷺ أن يتوضأ للصلاة، فأسرع الغلام ليجهز الوضوء للرسول ﷺ، وعندما دخل الرسول ﷺ قالت له ميمونة:

«يا رسول الله.. وضع لك هذا ابن عباس».

فإذا برسول الله ﷺ يبتسم ويدعو له قائلا:

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

بدأت تظهر على الغلام الصغير -الجميل الوجه الطويل القامة- بوادر الذكاء وصفاء الذهن

ورجاحة العقل..

ولازم عبد الله بن العباس الرسول ﷺ كثيرا، حتى إنه رأى جبريل عليه السلام مرتين، وسمع نجوى جبريل عليه السلام للرسول ﷺ.

وبدأ الرسول ﷺ يعلمه.. وبدأ هو يتعلم..

وقد بدأ الرسول ﷺ رحلته معه بتوجيهات عظيمة تنير له الطريق فلا تظلم حياته بعدها أبدا..

«يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

كانت هذه التوجيهات لغلام لم يصل بعد إلى سن الثالثة عشرة.

وكان عمق هذه الدروس يدل على عقلية عبد الله الناضجة، وقدرته الكبيرة على الفهم بما يجعله يستوعب مثل هذه الكلمات.

كان عبد الله شغوفا بالعلم والمعرفة وسؤال الصحابة بصورة ملفتة للنظر..

كان يلهث وراء الآيات والأحاديث فيحفظها ويفكر في الغامض فيها ما استطاع..كان لا يترك فرصة لتجمع صحابي نادر، إلا ويجري ينهل من هذا ومن ذاك.

حتى أكثر تجمعات الصحابة حزنا ومرارة.. يوم وفاة الرسول ﷺ، وجد ابن عباس آلاف الصحابة أمام بيت رسول الله ﷺ..ورغم حزنه الشديد المؤكد على رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يستطع أن يقاوم شغفه الشديد بالعلم والمعرفة..

وعندما رأى عبد الله هذا الجمع الكبير، فإذا به يقول لصاحب له من الأنصار:

- هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير!!

وينظر إليه صاحبه في عجب شديد قائلا:

- عجبا لك يا بن عباس!! أترى الناس يفتقرون إليك، وفيهم من أصحاب رسول الله ﷺ من ترى..؟

لم يكن ابن عباس مجرد فتى صغير يريد أن يلهو مع أقرانه من نفس سنه..

بل كان يشعر دائما أن الله قد رزقه موهبة في القدرة على البحث والتحصيل لم تتح لأحد غيره..

كان وهو في هذه السن الصغيرة، يتحسس مجالس الصحابة فيجلس معهم، فيسمع منهم أحاديث رسول الله ﷺ، ويستمع إلى مناقشاتهم وجدالهم وآرائهم، فينضج عقله وتزداد معرفته..

كان يبحث عن العلم بعقلية باحث محترف ، لا بأسلوب هاو يريد جمع معلومات فحسب..

كان يطبق دائما مبدأ الشك في المعلومة..

فإذا سمع حديثا أوآية يجري بعدها عملية التأكد من المصدر، وسؤال مصادر أخرى، حتى أنه قد وصل في بعض المسائل إلى سؤال ثلاثين صحابيا في مسألة واحدة.

يقول ابن عباس عن نفسه ليصف جهده الجهيد في البحث قائلا:

«إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد، ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ».

ولم يكن ابن عباس بحاجة إلى أن يعرف أن التواضع، أحد الأبواب الواسعة جدا للعلم.. فكان يتواضع لكل من لديه علم أو معلومة.

يقول ابن عباس:

«إنه كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي إليه وهو قائل في الظهيرة، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح على من التراب، حتى ينتهي من مقيله، ويخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما جاء بك، هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنت أحق بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه».

وكان يتصاغر أمام العلماء كزيد بن ثابت..

ركب زيد بن ثابت دابته يوما فأخذ ابن عباس بركابه، فقال زيد في خجل:

- لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ.

قال له ابن عباس في تواضع باسما :

- هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

فقال له زيد: أرني يديك.

فأخرج يديه فقبلهما وقال:

- هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

وبمرور الوقت، أصبحت معارف عبد الله تنمو بسرعة ملحوظة، وتألقت حكمته حتى أصبحت تنافس حكمة الشيوخ..

ووصلت حكمته في هذه السن الصغيرة إلى الدرجة التي جعلت أميرا حازما مدققا مثل عمر ابن الخطاب، يقتنع به تماما و يجعله أحد مستشاريه.

اعتاد عمر بن الخطاب في المسائل الصعبة أن يدعوأهل بدر والأنصار وبينهما ابن عباس، ويتحدث الجميع، فإذا تحدث ابن عباس لا يحتاج عمر إلى كلام بعده.

وكان بعض الصحابة من المهاجرين يلومون عمر على تفضيله ابن عباس عليهم في المشورة..فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن أقنعهم بدليل عملي يبرر لهم تصرفه، فقال لهم:

- أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله.. فسألهم عن سورة النصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر].

قال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا أن يحمده ويستغفره... فقال عمر وهو يلتفت لابن عباس:

يا ابن عباس، ألا تكلم ؟

قال: أعلمه متى يموت..

إذا جاء نصر الله والفتح... والفتح فتح مكة، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا... فهي آيتك من الموت، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا.

ثم سألهم عمر عن ليلة القدر فأكثروا فيها، فقال بعضهم: كنا نرى أنها في العشر الأواسط، ثم بلغنا أنها في العشر الأواخر... وقال بعضهم: ليلة إحدى وعشرين.. وقال بعضهم: ثلاث وعشرين... وقال بعضهم: سبع وعشرين... فقال بعضهم لابن عباس: ألا تكلم.. قال: الله أعلم... قال: قد نعلم أن الله أعلم، إنما نسألك عن علمك.

فقال ابن عباس: الله وتر يحب الوتر، خلق من خلقه سبع سموات فاستوى عليهن، وخلق الأرض سبعا، وخلق عدة الأيام سبعا، وجعل طوافا بالبيت سبعا، ورمي الجمار سبعا، وبين الصفا والمروة سبعا، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع.

قال عمر: وكيف خلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع ؟ فقد فهمت من هذا أمرا ما فهمته ؟.. قال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:].

ثم قرأ: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس].

قال ابن عباس: وأما السبعة فلبني آدم، و«الأب» فما أنبتت الأرض للأنعام، وأما ليلة القدر فما نراها إن شاء الله إلا ليلة ثلاث وعشرين يمضين وسبع بقين.

ولم يكن بعد هذه المناظرة العلمية القصيرة، من يحتاج من المعترضين إلى تعليق، أوالإبقاء حتى على بعض اللوم لعمر بن الخطاب.

وكان منهجه الواضح الدقيق المتزن في الرد على الأسئلة ، مؤهلا له في أن يفتي في عهد أبي بكر وعمر..

قال عبيد الله بن أبي يزيد:

– كان ابن عباس إذا سئل عن شيء؛ فإن كان في كتاب الله عز وجل قال به، وإن لم يكن في كتاب الله عز وجل وكان عن رسول الله ﷺ فيه شيء قال به، فإن لم يكن عن رسول الله ﷺ فيه شيء قال بما قال به أبو بكر وعمر، فإن لم يكن لأبي بكر وعمر فيه شيء قال برأيه.

وبدأ ابن عباس يتألق كالبدر في سماء العلم، وبدأت تتجلى قدراته العلمية الفذة، وبدأ الناس يتزايدون عليه يوما بعد يوم لسؤاله والنهل من معرفته..

حتى إن أحد أصحابه كان يصف أحد هذه المجالس قائلا:

– لقد رأيت من ابن عباس مجلسا، لوأن جميع قريش فخرت به، لكان لها به الفخر..رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب..

فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءا، فتوضأ وجلس وقال: اخرج إليهم، فادع من يريد أن يسأل عن القرآن وتأويله..فخرجت فآذنتهم: فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزاد..

ثم قال لهم: إخوانكم.. فخرجوا ليفسحوا لغيرهم.

ثم قال لي: اخرج فادع من يريد أن يسأل عن الحلال والحرام..

فخرجت فآذنتهم: فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم..

ثم قال: إخوانكم.. فخرجوا..

ثم قال لي: ادع من يريد أن يسأل عن الفرائض، فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم..

ثم قال لي: ادع من يريد أن يسأل عن العربية، والشعر..

فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم!!

يا لله.. كل هذه الفروع في العلم في القرآن والتأويل والحلال والحرام والشعر والعربية، وهو يجيب عن كل سؤال دون تقصير.

وتحدث عنه عبيد بن عتبة فقال:

«ما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ من ابن عباس.. ولا رأيت أحدا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه.

ولا أفقه في رأي منه..

ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا تفسير للقرآن، ولا بحساب وفريضة منه..

ولقد كان يجلس يوما للفقه.. ويوما للتأويل.. ويوما للمغازي.. ويوما للشعر.. ويوما لأيام

العرب وأخبارها..

وما رأيت عالما جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلا إلا وجد عنده علما»!

كان ابن عباس من كثرة علومه يضع برنامجا أسبوعيا للناس، يقسمه.. يوما للفقه، ويوما لتفسير القرآن، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لأيام العرب.

وفى عهد على بن أبي طالب ولاه واليا على البصرة فإذا به يبهر أهل البصرة بعلمه، وكان يغشى الناس في شهر رمضان، فلا ينقضى الشهر حتى يفقههم، وكان إذا كانت آخر ليلة من شهر رمضان يعظهم ويتكلم بكلام يروعهم ويقول: ملاك أمركم الدين، ووصلتكم الوفاء، وزينتكم العلم، وسلامتكم الحلم وطولكم المعروف، إن الله كلفكم الوسع، اتقوا الله ما استطعتم.

وازداد إعجاب الناس بعلمه وحكمته وفقهه ومهارته في الحديث، واحترامه للناس وعدم التعالي عليهم والتواضع عند استماعهم، وعدم الجدال.

حتى وصفه أحدهم قائلا:

إنه آخذ بثلاث، تارك لثلاث..

آخذ بقلوب الرجال إذا حدث..

وبحسن الاستماع إذا حدث..

وبأيسر الأمرين إذا خولف..

وتارك المراء..

ومصادقة اللئام..

وما يعتذر منه».

وعندما جاءت الفتنة، كان ابن عباس يميل دائما للسلام وحقن الدماء لا للحرب، وحاول جاهدا ما استطاع في سبيل ذلك..وعندما وقعت الحرب بين على ومعاوية، وانشق الخوارج على على ابن أبي طالب بعد معركة صفين، لم يجد علي بن أبي طالب إلا عبد الله بن عباس ليتناقش الخوارج في الاتهامات الموجهة ضده...

سألهم ابن عباس:

«ماذا تنقمون من علي..؟».

قالوا: «ننقم منه ثلاثا:

أولاهن: أنه حكم الرجال في دين الله، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]..

والثانية: أنه قاتل، ثم لم يأخذ من مقاتليه سبيا ولا غنائم، فلئن كانوا كفارا، فقد حلت أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماؤهم..!!

والثالثة: رضى عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين، استجابة لأعدائه، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين..».

وأخذ ابن عباس يفند أهواءهم فقال:

«أما قولكم: إنه حكم الرجال في دين الله، فأي بأس..؟

إن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [المائدة:٩٥].

فنبؤوني بالله: أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى، أم تحكيمهم في أرنب ثمنها درهم.. ؟!! وتلعثم زعماؤهم تحت وطأة هذا المنطق الساخر والحاسم..

واستأنف حبر الأمة حديثه: وأما قولكم: إنه قاتل فلم يسب ولم يغنم، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين سبيا، ويأخذ أسلابها غنائم..؟!

وهنا كست وجوههم صفرة الخجل، وأخذوا يوارون وجوههم بأيديهم..

وانتقل ابن عباس إلى الثالثة:

وأما قولكم: إنه رضى أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين، حتى يتم التحكيم، فاسمعوا ما فعله الرسول ﷺ يوم الحديبية؛ إذ راح يملى الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش، فقال للكاتب: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». فقال مبعوث قريش: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك..

فاكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.. فقال لهم الرسول ﷺ: «والله إني لرسول الله ﷺ وإن كذبتم».. ثم قال لكاتب الصحيفة: «اكتب ما يشاءون: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»..!!

واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر.. وما كاد ينتهى النقاش بينهم حتى نهض منهم عشرون ألفا، معلنين اقتناعهم، ومعلنين خروجهم من خصومة الإمام علي..

* * *

وظل ابن عباس يملأ الدنيا علما وحكمة، وهو يعلم الناس أخلاق العلماء..

كان ابن عباس لا يكن ضغينة لأحد، ولا يحب الاستئثار بالعلم لنفسه دون غيره، بل يحب أن يعلم الناس ما يعلم.. فكان يقول:

«إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود لو أن الناس جميعا علموا مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضى بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو له، وما لي عنده قضية، وإني لأسمع بالغيث يصيب للمسلمين أرضا فأفرح به وما لي بتلك الأرض سائمة».

وكان يفيض على الناس بماله بنفس السماح الذي يفيض به بعلمه، وكان معاصروه يقولون:

ما رأينا بيتا أكثر طعاما، ولا شرابا ولا فاكهة ولا علما من بيت ابن عباس.

وكان عابدا قانتا يقوم الليل ويصوم النهار، وكان كثير البكاء كلما صلى وقرأ القرآن.

سأله رجل يسمى جندب يوما أن يوصيه وصية، فقال له:

أوصني بوصية.

قال ابن عباس: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتيه بعد هذه الخصال منك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جندب إنك لن تزداد من يومك إلا قربا، فصل صلاة مودع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شعث نعليك، وكأن قد فارقتها، وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

يا لها من وصية عالم زاهد عابد، عرف العلم فعرف ربه ودنياه وآخرته.

وفي أواخر حياته كف بصر ابن عباس..وفي السنة السادسة والثمانين من الهجرة، وعن عمر يناهز واحدا وسبعين عاما، دعي عبد الله بن عباس إلى لقاء ربه.. ودفن بالطائف.

وداعا يا حبر الأمة.

يا ترجمان القرآن.

* * *

دروس و تحليل

١- في خضم مأساة الأمة الإسلامية، ربما تشهد هذه الأيام ميلاد من يخلصها من آلامها (عبد الله بن عباس يولد في ظل الحصار الاقتصادي الرهيب على المسلمين).

لن يموت الأمل طالما استمر العمل وبقى الجهاد، ويوما ما سينتصر هذا الدين مهما تعرض لأزمات.. لأنه دين الله، وفي الوقت الذي تعرض المسلمون فيه لحصار اقتصادي واجتماعى رهيب، كان الغرض منه القضاء نهائيا على المسلمين، كان مولد عبد الله بن عباس حبر الأمة، الذي سيضيء دولة الإسلام بعلمه بعد سنوات.

لقد ولد كثير من العلماء والمصلحين والمجاهدين، في أوقات تعرضت فيها الأمة الإسلامية والعربية لأزمات عنيفة، وبينما كان الأعداء يخططون لتدميرها، كان يهيئ الله لها من سيقودها نحوالعزة والكرامة والحرية.

٢- مرحلة المراهقة مرحلة خطيرة، ومن الخطر ألا نحسن التعامل مع أبنائنا في أثنائها (الرسول ﷺ ينصح عبد الله بن عباس بنصائح غالية عميقة تدل على تقديره له وهو في سن الثالثة عشرة).

مرحلة المراهقة مرحلة في غاية الخطورة، فهى المرحلة التى تتشكل فيها شخصية الفتى أوالفتاة التشكيل النهائى الذي يصعب التغيير بعده، وهي المرحلة التي تظهر فيها المواهب، ومرحلة الاستقلال وتحمل المسئولية واتخاذ القرار.

باختصار هى مرحلة الإعداد لجيل يقود المستقبل، وعلى ذلك.. فهى مرحلة تتطلب رعاية خاصة من الدولة ومن الأسرة، وإذا كنا لا نملك أن نوجه الدولة، فينبغى على الآباء أن ينتبهوا لحجم مسؤوليتهم في التعامل مع أبنائهم في هذه السن، فيتسلحوا بالعلم بخصائص هذه المرحلة وكيفية التعامل معها، ويجتهدوا في قراءة الكتب المتخصصة في التربية، ويلتحقوا بدورات تدريبية تشرح لهم كيف يكونون أصدقاء لأبنائهم في هذه المرحلة، وكيف يساعدونهم على تنمية مواهبهم وتحملهم المسئولية واكتساب صفات الرجولة الصحيحة.

إن أبناءنا في مرحلة المراهقة، كنز ثمين، ينبغي ألا نفقده.

٣- حب العلم نعمة، واتخاذه وسيلة إجبارية لنيل شهادة أوقعتنا في براثن التخلف لمئات السنين (عبد الله بن عباس يلهث وراء اجتماعات الصحابة للاستزادة من العلم).

في التعليم.. أصبحنا مجبرين على كل شيء، أصبحنا مجبرين أن نلتحق بكليات لا نحبها ثم نلتحق بأقسام لا نريدها، وفي خضم دراستنا دائما يتبادر إلى أذهاننا سؤال ملح بين الحين والآخر..لماذا نتعلم ؟ أنتعلم من أجل الحصول على شهادة لا نعمل بها، وربما لن نعمل بها أبدا ؟ أنتعلم كي نتزوج ؟ أنتعلم لأنه من العار ألا نتعلم ؟

هل ننفق الملايين والمليارات كل عام دون هدف ؟

مأساة أن نتعلم دون هدف ودون حب، مأساة ألا نقتنع بقيمة العلم في الحياة والتربية والتقدم والسعادة، مأساة أن لا نحب العلم ونهدر قيمة البحث العلمي ونهينه ونهين أصحابه بتجاهلنا لهم وعدم مساعدتهم.

مأساة أن نكون متخلفين ونحن أمة ﴿ اقْرَأْ ﴾ وأمة «عبد الله بن عباس»، وغيره الكثير والكثير من علماء المسلمين.

٤- الكثير من الشباب يهرب من الندوات المفيدة، وأصبح الترفيه هو قضية حياته (عبد الله بن عباس كان دائم البحث عن جلسات العلم).

وصل الكثير من الشباب إلى مرحلة مؤسفة، مرحلة أصبح فيها الترفيه هو قضية حياته، وأصبح الكلام الجاد والمناقشات البناءة أمرا مثيرا للضحك والسخرية، فلقد تسبب له الإحباط وضعف التربية الدينية في فقدان الأمل في الإصلاح والبناء، فأصبحت فلسفة حياته هى البحث عن الترفيه في كل مكان، وليس معنى ذلك أننا ضد الترفيه، ولكنا ضد أن يصبح الترفيه هو قضية الحياة الأولى، وأما قضايا الدين والوطن فلا تجد من يقف بجانبها، ولقد أدرك من له مصلحة هذا الأمر، فانقضوا بقنواتهم الفضائية الغنائية العارية، واجتهدوا أن يملؤوا شاشاتهم بكل ما هو تافه ورخيص، حتى وصل التدني في الأفكار والألفاظ إلى مستوى لم يكن يتخيله أحد، وإذا بالمفاجأة.. بالإقبال الرهيب من الشباب عليها.

أما القنوات الجادة المفيدة.. فإنها لن تجد أمام شاشاتها الكثير من الشباب؛ لأنهم انصرفوا إلى قضيتهم الكبرى !!

٥- مبدأ الشك مبدأ مهم جدا في استقبال المعلومات، يحمى المجتمع من الشائعات ويحمى الأفراد من التصرفات الخاطئة (عبد الله بن عباس يطبق مبدأ الشك فيما يستمع إليه من أحاديث عن الرسول ﷺ).

تنتشر الشائعات بسرعة في مجتمعاتنا؛ لأننا لا نطبق مبدأ الشك، فعندما نسمع خبرا نفترض للوهلة الأولى أنه صحيح دون مبرر مقنع، ثم نبدأ في التصرف على أساسه، ونشره بين الناس بناء على تصورنا نحن للخبر، وهذا الأسلوب له الفضل الأول في انتشار شائعات تجوب البلاد كلها في ساعات.

قديما كنا إذا أحببنا أن ندلل على صدق خبر نقول: لقد قرأناه في الجريدة. وكأن الجريدة وحى من السماء وكأن أصحابها لا يخطئون و لا يكذبون، وبعد أن فقد القراء ثقتهم في عدد من الجرائد.. ربما دفعتنا الأخبار غير الصحيحة لأن نقول ساخرين عندما نريد أن نكذب خبرا ما في الجريدة بقولنا: كلام جرايد !!

ونحن لا ندعوالى أن نتحول إلى محققين أو وكلاء نيابة، ولكننا نريد فقط أن نمرر ما نسمعه على عقولنا، وأن نسعى للتأكد من الخبر كلما زادت خطورة الخبر وأهميته، وأن نضع نسبة خطأ فيما نسمعه من أخبار، حتى لا نتصرف بناء على معلومات خاطئة، ولا نكون سببا في نشر أخبار كاذبة تثير البلبلة، ونلحق الضرر بالآخرين.

٦- منهج عمر بن الخطاب كان حاسما فى تقديم الكفاءات دون أى اعتبارات أخرى (عمر بن الخطاب كان يقدم رأي ابن عباس على رأي كثير من المهاجرين والأنصار رغم صغر سنه).

كان عمر بن الخطاب موهوبا في الإدارة، وحسن اختيار الشخصيات للمسئوليات التى تناسبهم، وكان معياره الوحيد في ذلك هوالكفاءة دون أي اعتبارات أخرى كالسن والقرابة والصداقة... إلخ، وهوالسبب الذي جعل عصر ابن الخطاب هوأزهى عصور الخلافة على الإطلاق.

وكلما أخضع مدير المؤسسة معيار الاختيار لاعتبارات أخرى غير الكفاءة، كلما ضعفت المؤسسة، واتجه مؤشرها بسرعة نحوالفشل.

٧- ثقافة الإسلام هي السلام وحقن الدماء.. وليس الحرب (عبد الله بن عباس كان يحاول حقن الدماء بالحوار).

يظن الكثير بأن الإسلام يميل إلى الحروب من كثرة ما نتحدث عن الجهاد والغزوات، والحقيقة أن الإسلام دين يدعوالى السلام وتعايش الجميع تحت مظلة الأمن والأمان، وهو يرسخ مبادئ الحوار ويدعو دائما إلى حقن الدماء، وهو يحاول دائما ألا يلجأ إلى الحرب، وإذا لجأ إلى الحرب فإنه يحاول الوصول إلى هدفه دون قتال، وإذا اضطر إلى القتال فإنه يقتل القتل المحسوب الذي يوصله إلى مراده، فإذا تحقق الهدف أوقف القتال فورا، وهو يستثنى دائما الشيوخ والنساء والأطفال والأشجار، ويحارب المحاربين ولا يمس المدنيين ويحسن معاملة الأسرى.

إن الإسلام دين دعوة وحوار لا دين قتل ودمار، إلا إذا جاءت الظروف بما يكرهه الإسلام.

* * *